أسلوب تعاقب بني أمية على منصب الخلافة وأثره في سقوط دولتهم

د. عمر سليمان العقيلي

ملخص البحث :

لقد كُتب الكثير عن أسباب سقوط الدولة الأموية، وتباينت وجهات نظر الباحثين المحدثين * حيال هذه المسألة. وفي هذه المقالة، يكشف الباحث، من خلال عرضه للوقائع، أن الأزمة التي واجهها خلفاء بني أمية لا تكمن فقط في الأسلوب الذي اتبعوه في تعاقبهم على منصب الخلافة، بل في فشلهم في وضع ضوابط تنظم أسس وقواعد هذا التعاقب. فكان ذلك، بالتالي، أحد العوامل الأساسية التي أسهمت في تقويض سلطانهم.

لقد اتبع بنـو أميـة في تعـاقبهم على منصب الخلافـة نظام ولايـة العهـد **. ويتمثل في أن يعهد الخليفـة بمنصب الخلافة من بعده لأحد أبنـائه أو إخوانه أو أبناء عمـومته شريطة أن لا يتجـاوز هذا العهـد الأسرة الأموية. وهـو يقوم بهذا العمل دون التحقق من رغبات غالبية أفراد الرعيـة. وإن كان هذا النظام جديداً بعض الشيء على مجتمع النصف الأول من القـرن الأول الهجـري، إلا أنـه كـان مألوفاً - إلى حـد ما - في المجتمعات القبلية العربيـة في فترة ما قبل الإسلام. إذ كان شيخ القبيلة يـوصي بزعامتها من بعـده إلى أحد أبنائه [١]، أو أقاربـه أو أي شخص ترتضيه القبيلة شريطة أن تتوافر فيه صفات مميزة ومحمودة [٢].

ولقد كان الخليفـة الأموي معاوية بن أبي سفيـان (رضي الله عنه) أول من طبق نظرية ولاية العهد في منصب الخلافة في تاريخ الإسلام [٣]. فهو الذي عهد بهذا المنصب إلى ولده يـزيد من بعـده. ولربما كان ذلك نتيجـة لخبرته واطـلاعه على الظروف التي كانت تحيط بالمسلمين عقب وفاة كل خليفة، وكذلك نتيجة لتأثره بأخبـار وسير ملوك ونظـم الأمم المجاورة لـه كـالروم والفـرس [٤]. وقد جـوبه معاويـة بمعارضـة كبار رجالات الأمـة الإسلاميـة، أمثال: الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر (رضي الله عنهم) الذين لم يكونوا قـد تعودوا على مثل هذا النظام [٥]، والذين كانوا يرون أنه يجب أن يكون هناك مجال أرحب للترشيح؛ إلا أن معاوية قد دافع عن وجهة نظره بأن مثل هـذه الخطوة قـد تضمن للأمـة الإسـلامية وحـدتها وتحفظ لها استقرارهـا، وتجنبها حدوث أية صراعـات على مثل هذا المنصب، فقال للذين نصحوه بعدم الإقدام على مثل هذا الأمـر: «فلذلك رأيت أن أبايع ليزيـد، لما وقع فيه الناس من الاختلاف، ونظراً لهم بعين الإنصاف» [٦] كما ورد عنه قوله في مواجهة أخرى «لست آمن عليكم الاختلاف بعدي» [٧].

وعلى أية حال، فقد استطاع معاوية بحلمه ودهائه وحنكته أن يستقطب الكثيرين حول هدفه، فأخذ البيعة لولده يزيد من غالبية المتعاطفين معه، وأحكم له هذا الأمر في حال حياته. ثم توفي معاوية عقب ذلك في شهر رجب عام ٦٠هـ/ ٦٨٠م [٨].

وتولَّى يزيد بن معاوية منصب الخلافة (٦٠ - ٦٤ هـ/ ٦٨٠ - ٦٨٤م) ولكنه لم يهنأ في وظيفته هذه طويلاً إذ شهد عهده أحداثاً جساماً، مثل: وقعة كربلاء ومقتل الحسين بن علي (رضي الله عنه) (٦١هـ/ ٦٨١م)، ووقعة الحَرَّة في المدينة (٦٣هـ/ ٦٨٣م)، وحصار الحرم المكي وحريق الكعبة (٦٤هـ/ ٦٨٤م) [٩]. وقد أسهمت هذه الأحداث في تسويد صفحته وجمعت له أعداء كثيرين ومع ذلك، فقد عهد قبل وفاته إلى ولده معاوية الثاني بمنصب الخلافة من بعده، متناسياً أن مثل هذا العمل كان السبب الرئيس في كل المشكلات التي حصلت له. وفي ذلك يقول عبد الله بن همام السلولي [١٠] (الشاعر المشهور، وصاحب الحظوة عند بني أمية):

تَلقَّاها يزيدٌ عن أَبيه ... فَخُذْها يا معاوي عن يزيدا
أَديروها بني حَرب عليكم ... ولا تَرمُوا بها الغرض البَعيدا
فإنْ دُنياكمُ بِكمُ اطمأنَّتْ ... فأَولوا أهلها خُلقاً سديدا
وإنْ عصفَتْ عليكم فاعصبوها ... عصاباً تُستدرُّ به شديدا

ورغم هذه النصيحة، إلا أن المصادر التاريخية تروي أن معاوية الثاني قد أعلن عن تنازله عن منصب الخلافة منذ اليوم الأول الذي بويع فيه. إذ خطب الناس في مسجد دمشق وقال لهم: «. . . . . فإني قد ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين استخلفه أبو بكر

(رضي الله عنه) فلم أجده، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا لـه من أحببتم» (١١).

ولعل إصرار معـاويـة الثـاني على تنازلـه عن منصب الخلافـة يعـود إلى عـدة أسباب، أولها : أنه كـان زاهداً (١٢) في الخلافة، فـلا هو طلبهـا، ولا هو سعى إليها. وثانيها : أنه كان مريضاً ووجد في نفسه عدم القدرة على ممارسة مهام هذا المنصب. وثالثها : أنه أراد أن يجنّب نفسـه تلك المشكلات التي حصلت لوالده من قبل، وأخذت عليـه معظم وقته وجهده، وسوَّدت صفحته ففضَّـل معاوية الثاني أن ينأى بنفسـه عن كل التيارات المعـارضة. وليس هـذا فحسب، بل إنه رفض أن يعهد إلى أخيـه خالد بن يـزيد بتولي هـذا الأمر من بعده، وقـال للذين نصحوه بذلك «لا يكون لي مرُّها، ولكم حلوها» (١٣). وقال أيضاً : «اللهم إني بريءٌ منها، متخل عنها» (١٤).

وتذكر المصادر التاريخية أن معاوية الثاني قد لزم بيته بعد خطبته تلك، فبقيت الأمور الداخلية للدولة على حالها كما كـانت في عهد والده يزيد. فلم يعزل أحداً من عمال أبيه، ولا حرَّك شيئـاً، ولا أمر ولا نهى وبقي معاوية كـذلك حتى توفي مريضـاً في منزلـه بعـد أربعين يوماً من اعتزالـه النـاس، وهـو ابن تسـع عشرة سنـة (١٥).

ولقد أدى إحجام معاوية الثاني عن تعيين من يخلفه إلى وقوع الأسرة الأموية في مأزق حقيقي. إذ لم يلبث عبـد الله بن الزبير أن دعـا إلى نفسـه بالخلافـة (١٦) في مكة. وسرعـان ما جاءته بيعـة أهالي مصر والعراق وخراسـان واليمن والبحرين واليمامـة. وبايعـه أهل حمص وقنسرين وفلسطين وبعض أهل دمشق (١٧). ولم يبق سوى إقليم الأردن، ووالـيه حسَّان بن مالك بن بَحدَل الكلبي (خـال يزيد

ابن معاوية)، موالياً لبني أمية [١٨]. ولعل هذه البيعة المتسرِّعة - وبخاصة في إقليم الشام - إلى ابن الزبير قد جاءت نتيجة لغياب أي مرشح أموي.

ولتطويق هذه الأزمة، كان بنو أمية يجتمعون فيما يسمَّى بـ «مجلس الملأ» [١٩] (وهو أشبه بمجلس العشيرة) ويستعرضون الأحوال العامة، ويتناقشون في أمر الخلافة. ويروى أن مروان بن الحكم والذي لم يكن حتى ذلك الوقت معروفاً عند أهل الشام، قد أبدى رغبته في البيعة لابن الزبير، لكن عبيد الله بن زياد منعه من ذلك [٢٠]. ورشحه من بينهم لأن يتولى منصب الخلافة وذلك بحكم أنه كبير قريش وسيّدها [٢١]، وسيّد بني أمية [٢٢].

وإذا كان ما اتفق عليه بنو أمية قد أرضاهم، فإنه لن يمرّ دون اعتراضات. فما أن عقد الأمويون مؤتمراً عاماً في الجابية [٢٣] (قرية في الجولان) ليعرضوا على أعوانهم من القبائل اليمانية بيعة مروان بالخلافة، حتى اشترطوا على مروان أن يعمل وفق رغباتهم وقالوا له: «فإن تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك، وإن تكن الأخرى، فوالله ما قريش عندنا إلا سواء» [٢٤]. واشترطوا عليه كذلك، أن ينزل البلقاء من كان بالشام من كندة، وأن يجعلها لهم مأكلة. واشترطوا عليه أن يكون لهم الأمر والنهي وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأي منهم ومشورة. واشترطوا عليه كذلك أن يخلفه خالد بن يزيد بن معاوية وعلى أن يخلف خالداً عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية (المعروف بالأشدق). وفرضوا عليه أن يتولى خالد ولاية حمص ويكون لعمرو بن سعيد إمرة دمشق [٢٥]. فوافق مروان لهم على كل هذه المطالب؛ لأنه كان في أمس الحاجة إلى الدَّعم والمساندة للوصول إلى هدفه. وبويع له، إثر ذلك، بالخلافة. وفي هذا يفتخر عمرو بن مخلاة الكلبي أحد أفراد القبائل اليمانية الذين ساندوا مروان بأنهم هم الذين صنعوه فهو يقول [٢٦]:

رددنـــا لمروان الخلافـة بعـــدمـــا جـــرى للـــزُّبيريّين كـــلُّ بـريـــد
فإلا يكُـن منَّـــا الخليفـــة نفسُـــه فما نـــــالهَا إلا ونحـن شهـــــود

وعلى الرغم من قبول مروان لذلك الشرط المتعلق بولاية العهد، إلا أنه لم يلبث أن تحرر منه بمجرد أن قويت سلطته في بلاد الشام عقب انتصاره على أعوان ابن الزبير في موقعة مرج راهط [٢٧] (قرب دمشق). وفي موقعة عين شمس [٢٨] (قرب الفسطاط) بمصر. فقام، عقب ذلك، بعزل وليّي عهده اللذين فرضا عليه، وعمل على إحياء فكرة معاوية حيال ولاية العهد. فكان أن عهد إلى اثنين من أبنائه لخلافته وهما عبد الملك ومن بعده عبد العزيز [٢٩]. وكأنه أراد بذلك أن يؤكد السيادة في أبنائه وعلى ألا تنتقل منهم إلى أي فرع آخر.

وأما عن الموقف الذي اتخذه صاحبا العلاقة المباشرة بهذه القضية، فتشير الروايات التاريخية أن خالد بن يزيد قد ترك السياسة وشؤونها واتجه نحو تطوير اهتماماته العلمية وبخاصة في علم الكيمياء [٣٠]. وأما عمرو بن سعيد، وهو الذي كان يوماً مفضلاً عند أهل الشام، فلم يستسلم بسهولة، بل إنه كظم غيظه، وأخذ يتحين الفرصة المناسبة لاستعادة ما فقده.

ومهما يكن الأمر، فقد أدى إخلال مروان بن الحكم ببند مهم من اتفاقية الجابية، إلى سابقة خطيرة فهو بخطوته تلك قد فتح باباً في كيان الخلافة الأموية صعب على كل الذين جاؤوا بعده أن يسدوه. إذ إن غياب الأسس والقواعد التي تنظم عملية التعاقب على منصب الخلافة قد أسفر عن كثرة الطامعين (حتى ولو كانوا غير مؤهلين) من بين أفراد البيت الأموي. وهذا أدى بالتالي لأن تتعقد المشكلة أكثر فأكثر.

ولعل أول خلاف من هذا النوع قد ظهر عقب وفاة مروان بن الحكم (٦٥هـ/ ٦٨٥م) وتولى ابنه عبد الملك الخلافة من بعده (٦٥ - ٨٦هـ/ ٦٨٥ - ٧٠٥م)، فعلى الرغم من الجهود المضنية التي قام بها عبد الملك في سبيل تأكيد السيادة الأموية، إلا أن التنافس على منصب الخلافة وعدم وجود تلك الضوابط المنظمة لعملية التعاقب قد دفعت عبد الملك لأن يقوم، وبنفسه، بقتل ابن عمه عمرو بن سعيد (الأشدق) على مرأى ومسمع من بعض رجالات البيت الأموي وأعوانهم، وجاء ذلك الإجراء بعد أن كان عمرو قد حاول التمرد ضد السلطة، وأغلق أبواب دمشق دونه، وأخذ يطالب بما فقده كنتيجة لخطوة مروان في أمر الخلافة، فوعده عبد الملك أن يستخلفه بعده، عند ذلك أنهى عمرو بن سعيد اعتصامه، وبايع لعبد الملك ولكن عبد الملك لم يمهله طويلاً، إذ إنه ظل يشك في نوايا عمرو. فكان أن قتله في سنة ٧٢هـ/ ٦٩٢م. وقال مبرراً صنيعه فيه : «لو كنت أعلم أنك تبقى وتصلح قرابتي لفديتك بدم النَّواظِر، ولكنه قلَّما اجتمع فحلان في إبل إلاَّ أخرج أحدهما صاحبه» (٣١).

ثم إن عبد الملك، كما تشير الروايات التاريخية، فكر في إقصاء أخيه عبد العزيز عن ولاية عهده وتولية ابنه الوليد بدلاً عنه ولكن وفاة عبد العزيز (٨٥هـ/ ٧٠٤م) قد أراحت عبد الملك من أية مشكلات محتملة (٣٢). وعلى إثر ذلك قام عبد الملك بأخذ البيعة لابنه الوليد ليكون ولياً لعهده وعلى أن يخلف الوليد أخوه سليمان (٣٣). وكان رأي عبد الملك في ذلك واضحاً، فهو يقول : «أما إنا لو تركنا الوليد وإياها، لجعلها لبنيه» (٣٤).

وتولى الوليد منصب الخلافة عقب وفاة والده. (٨٦هـ/ ٧٠٥م) وورث عنه دولة ثابتة الأركان، مهيبة الجانب، مما ساعده على تحقيق كثير من الإنجازات على مختلف الأصعدة. وأما فيما يتعلق بولاية العهد، فتشير الروايات التاريخية إلى

أن الوليد أراد أن يغير فيما قرره والده، فهمَّ بعزل أخيه سليمان وتولية ابنه عبد العزيز بن الوليد (٣٥). ولكن ذلك لم يتم له نظراً لوفاته المفاجئة، ولأن سليمان كان يتمتع بمكانة في بني أمية، وأن البيعة كانت قد أُحكمت له أيام والده.

وأما بالنسبة لسليمان بن عبد الملك، فقد ولي منصب الخلافة عقب وفاة أخيه الوليد في سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م، وقد شهدت فترة خلافته التي استمرت حتى سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م. محاولة كبرى من جانب القوات الإسلامية البرية والبحرية لفتح مدينة القسطنطينية لكنها باءت بالفشل (٣٦). كما أن سليمان كان يريد ولاية العهد لابنه أيوب. وبايع له بذلك في سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م ولكن أيوب هذا توفي بالطاعون قبل وفاة والده باثنين وأربعين يوماً (٣٧). فأرادها سليمان، بعد ذلك، لولده داود. لكن الذي منعه من عقد العهد له من بعده أمران، أولهما: أن داود كان وقت مرض والده مع الجيش خلف أسوار القسطنطينية (٣٨). وثانيهما: «أن داود كان ابن أَمة، وكان بنو أمية يكرهون ذلك؛ لأنه شاع بينهم أن مُلكهم يذهب على يد خليفة منهم أُمُّه أَمَة» (٣٩). ولذلك تروي المصادر التاريخية أن رجاء بن حيوة الكندي، أحد فقهاء الشام ومن مؤدبي سليمان، قد أشار عليه أن يولي عهده إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان، على أن يأتي بعده يزيد بن عبد الملك (٤٠). ومع أن هشام بن عبد الملك قد أبدى عدم رضاه عن مثل هذه الخطوة، إلا أن رجاء بن حيوة الكندي هدده إن هو حاول أن يحرك ساكنا. فما كان منه إلا أن بايع لعمر بن عبد العزيز، ليس لأن رجاء بن حيوة قد اختاره ولكن لما كان يتمتع به عمر من كفاءة لمنصب الخلافة إضافة إلى أخلاقه الحميدة.

ولعل من الأهمية أن نشير هنا إلى أن عدم وجود نظام واضح تتحدد بموجبه المعايير لتولي منصب الخلافة أو حتى ولاية العهد عند بني أمية، هو الذي دفع

هشام بن عبد الملك لأن يقف هذا الموقف. وذلك لخشيته من أن يذهب منصب الخلافة بعيداً عن أبناء عبد الملك بن مروان، ولكن لعله اطمأن عندما عرف أن أخاه يزيد بن عبد الملك قد عيَّن ولي عهد لعمر بن عبد العزيز.

بايع الناس عمر بن عبد العزيز بالخلافة عقب وفاة سليمان بن عبد الملك المفاجئة نتيجة إصابته بمرض الحمى (أو بذات الجنب) (٩٩هـ/ ٧١٧م). وتميز عهد عمر بانتشار العدل والمساواة في جميع أرجاء الدولة مما حدا بمتتبعي سيرته أن يعدوه خامس الخلفاء الراشدين [٤١]، وفيما يتعلق بولاية العهد، فبرغم ميله إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أو سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب لما عرف عنهما من صلاح وتقوى [٤٢]، إلا أنه لم يكن بمقدوره أن يفعل ذلك خشية أن تثير مشكلات وفتن بين بني أمية وتفرق كلمتهم. وقد عبّر عمر عن ذلك بقوله: «لو اخترت للأمة غير يزيد كان أولى، ولكني أخاف إن أخرجتها من بني عبد الملك أن يقع في ذلك فتنة وفرقة، وأنا أُولي سليمان ما تولى، والمسلمون أولى بالنظر في أمرهم» [٤٣].

ولما توفي عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ/ ٧١٧م) بويع ليزيد بن عبد الملك بالخلافة من بعده [٤٤]. وكان يزيد يرغب أن يكون ابنه الوليد ولياً لعهده على الرغم من أنه لم يكن يتعدى الحادية عشرة من عمره. وبينما كان يخطط لهذه الفكرة، بدأت حركة يزيد بن المهلب الأزدي في البصرة (١٠٢هـ/ ٧٢٠م) وكانت هذه الحركة من الخطورة بحيث جعلت الخليفة يزيد يعين أخاه هشام بن عبد الملك ولياً لعهده شريطة أن يكون الوليد ولي عهد هشام. «وأخذ العهد عليه ألا يخلعه ولا يغير عهده، وألا يحتال عليه» [٤٥]. وكان صاحب الرأي والمشورة في ذلك هو مسلمة بن عبد الملك، الذي خشي أن يقع مكروه للخليفة وليس من ولي عهد له سوى ذلك الصبي. ولكن، وفي الوقت الذي تمت فيه

مبايعة هشام بولاية العهد تم القضاء على حركة يزيد بن المهلب [٤٦](١٠٢هـ/ ٧٢٠م) وعندما ندم يزيد بن عبد الملك - حسبما يقال - على تسرعه في إعطاء ولاية العهد إلى أخيه هشام فكان كلما رأى ولده الوليد يقول «الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك» [٤٧]يعني مسلمة بن عبد الملك. وتوفي يزيد في عام (١٠٥هـ/ ٧٢٣م) متأثراً بداء السّل.

وتولى هشام بن عبد الملك منصب الخلافة (١٠٥- ١٢٥هـ/ ٧٢٣- ٧٤٢م) وبدأ في أول أمره يعامل ولي عهده (الوليد بن يزيد) معاملة حسنة. لكنه طمع بعد ذلك في خلعه على أمل أن تؤول ولاية العهد لابنه مسلمة بن هشام. فبدأ يتنكر لابن أخيه وحرمه من العطاء وحرم سائر مواليه [٤٨]. وأخذ في تحقيره وتصغيره في عيون جلسائه حتى ينتزع منهم اعترافاً بعدم أهليته للخلافة [٤٩]. فضاق الوليد ذرعاً بأفعال عمّه، وغادر الرصافة حيث يقيم هشام، واتخذ من واحة الأزرق [٥٠](جنوب الأردن حالياً) مكاناً لإقامته، ولكنه كان دائم السؤال عن حال عمه [٥١]، مترقباً الفرصة المناسبة لاستعادة حقه.

وأمام هذه اليقظة من الوليد، والدعم المعنوي الذي كان يحظى به (أي الوليد) من قبل عمه مسلمة بن عبد الملك؛ وخشية هشام من أن تتنكر قلوب الأجناد عليه، إذ إن سيرة مسلمة بن هشام لم تكن بأحسن من سيرة الوليد [٥٢]. فقد تخلى هشام عن محاولاته في خلع الوليد وهكذا باءت جهوده بالفشل. وتوفي هشام (١٢٥هـ/ ٧٤٢م) دون أن يحقق ما كان يطمح إليه. وإن كانت محاولات التشهير تلك قد فتحت على الوليد باباً صعب عليه إغلاقه.

وبويع للوليد بن يزيد بالخلافة، فافتتح عهده باستبعاد أبناء عمه الوليد بن عبد الملك، وأبناء عمه هشام بن عبد الملك وحرمهم من تولي أي منصب وقرر عدم الاستعانة بهم [٥٣]. وأمر بالتشديد على أعوانهم السابقين [٥٤]. وزاد على

ذلك بأن حاول أخذ البيعة بولاية العهد إلى ولديه : الحكم (وكان ابن أمَة) [٥٥] وعثمان (ابن حُرَّة) [٥٦] على الرغم من صغر سنهما . وفي هذا يقول أحد مواليه : «دخلت عليه وقد عقد لابنيه بعده، فقلت له : يا أمير المؤمنين، أقول قول الموثوق بنصيحته أو يسعني السكوت ؟ قال : قل قول الموثوق به، فقلت : إن الناس قد أنكروا ما فعلت وقالوا : يبايع لمن لم يحتلم، وقد سمعت ما أكره فيك . قال : أفأدخل بيني وبين ابني غيري، فيلقى منه كما لقيتُ من الأحوال بعد أبي» [٥٧].

ولذلك فقد شعر بنو عمومته أنهم قد استبعدوا تماماً فنقموا عليه ودبروا بينهم مؤامرة ضده، تزعمها سليمان بن هشام ويزيد بن الوليد بن عبد الملك وانتهت بمقتل الوليد في موقعه البَخْراء [٥٨] (قرب تدمر في سوريا) سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٢م وسجنوا ابني الوليد ووليَّي عهده الحكم وعثمان، عندهم بدمشق .

وإذا كانت النتيجة المباشرة لمقتل الخليفة الوليد بن يزيد أن تولى (ابن عمه) يزيد بن الوليد بن عبد الملك منصب الخلافة، فإن النتائج الآنية لهذا الحدث تتمثل في ضعف الخلافة، وذهاب هيبتها وضياع جلالها وهوان سلطانها على العامة والخاصة كما أنها ساهمت في تصدع وحدة الأسرة الأموية، وانقسامها على نفسها، مما نجم عنه انهيار عام في سلطانهم . ويعلق أحد الباحثين على هذه الحادثة بقوله : «إن مقتل الوليد يشكل نقطة البدء في تحدي فكرة الشرعية ومسماراً ضخماً في نعش الخلافة كمؤسسة حاكمة من المفروض أن تكون لها هيبتها وقدسيتها» [٥٩].

وأما عن تتابع الأحداث عقب مقتل الخليفة الوليد وأثره في انفصام عرى الوفاق بين أفراد البيت الأموي، فتشير الروايات التاريخية أنه قد بويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك بالخلافة من قبل أعوانه . وعقد العهد بعده لأخيه إبراهيم

ابن الوليد على أن يتبعه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان [٦٠] وقبض على الحكم وعثمان ابني الوليد الثاني وزج بهما في السجن خشية أن تتجمع حولهما الأعوان. ولكن عهد يزيد لم يدم طويلاً، إذ إنه توفي إثر مرض بعد ستة أشهر فقط. فخلفه أخوه إبراهيم (١٢٦هـ/ ٧٤٢) ولكنه كان ضعيفاً فلم يهنأ في منصبه، ولم يُعترف بخلافته من قبل الكثيرين فكان يسلّم عليه جُمُعَةً بالخلافة وجمعة بالإمرة وجمعة لا يسلّمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمرة [٦١].

ولم يمض طويل وقت حتى خرج عليه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (والي إقليم الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان) والذي لم يكن قد بايع لإبراهيم بالخلافة مطالباً إياه بدم الخليفة المقتول الوليد بن يزيد، ومطالباً إياه، كذلك بإطلاق سراح الحكم وعثمان ابني الوليد. ولما سمع إبراهيم بهذه المطالب أصدر أوامره بقتل بني الوليد [٦٢]. ثم جهز قواته لمواجهة مروان بن محمد، ووضع هذه القوات تحت إمرة سليمان بن هشام بن عبد الملك. ولم يلبث أن اشتبك الطرفان في موقعه عين الجرّ (عنجرا قرب بعلبك في وادي البقاع بلبنان) سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٢م). وأسفر هذا اللقاء عن مقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان، وأسر الخليفة إبراهيم بن الوليد وكبير مناصريه سليمان بن هشام ولم يلبث إبراهيم أن خلع نفسه وبايع بالخلافة إلى مروان بن محمد [٦٣].

دخل مروان دمشق عقب انتصاره، وبويع له بالخلافة عام ١٢٧هـ/ ٧٤٣م، ثم انتقل بعد ذلك إلى حَران [٦٤] في إقليم الجزيرة الفراتية حيث اتخذها مركزا لخلافته بدلا عن دمشق، وهناك بايع لولديه عبيد الله وعبد الله بولاية العهد [٦٥]. مع أنهما كانا صغيرين في السن. ولكن مروان وولديه لم يهنئوا فيما وصلوا إليه حيث إن العباسيين كانوا لهم بالمرصاد. إذ لم يمض وقت طويل حتى

دخلت جيوشهم دمشق وطاردوا مروان حتى قتلوه وولديه في قرية من قرى الفيوم بمصر يقال لها بوصير (٦٦) وذلك في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٢هـ، وبذلك انتهى العهد الأموي وبدأ العهد العباسي.

وهكذا، يتبين أن بني أمية قد أضاعوا فرصة استمرارية منصب الخلافة فيهم عندما غابت عن أذهان عقلائهم فكرة وضع نظام واضح وشامل تتحدد بموجبه الضوابط الفعلية لتعاقبهم على هذا المنصب. وقد أدى هذا الخلل إلى وجود ثغرات كان لها في النهاية أثر سلبي عليهم. ويتمثل بعضها فيما يلي :

١ - تعيين الأقرب نسبا للخليفة في ولاية العهد دون غيره من بني أمية، وإن كان الأفضل : ولعل ذلك جاء نتيجة لعاطفة الأبوة. ويتمثل هذا في رد معاوية على الذين تساءلوا عن فكرته في حصر الخلافة في ولده يزيد، وحرمان آخرين منها، إذ قال لهم : «ابني أحبّ إليَّ من أبنائهم» (٦٧). ويتمثل هذا فيما قاله مروان بن الحكم إلى معاوية حينما طلب منه الأخير أن يبايع لولده يزيد بولاية العهد، فقال له : « واهديء (تروّ ولا تسرع) من تأميرك الصبيان، واعلم أن لك في قومك نظّراً، وأن لهم مناوأتك وزراً » (٦٨).

وهذا عبد الملك بن مروان، بلغ به من شدة إيثاره لولده الوليد أن حاول عزل أخيه عبد العزيز عن ولاية العهد، وقتل ابن عمه عمرو بن سعيد بن العاص. وبعد ذلك نراه يتوجه إلى خالد وعبد الله ابني يزيد بن معاوية فيسألهما : «يا بني يزيد، أتحبان أن أُقيلكما بيعة الوليد ؟ فقالا : «معاذ الله يا أمير المؤمنين. قال : لو قلتما غير ذلك لأمرت بقتلكما» (٦٩).

وأما يزيد بن عبد الملك فقد كان جوابه للذين سألوه : «أيهما يفضّل أن يلي الأمر من بعده : ابنه أم أخيه ؟ فقال : إذا لم تكن في ولدي، فأخي أحق بها من ابن أخي» (٧٠).

٢ - عدم الاستفادة من مقدرات أبناء الإماء حتى وإن كانوا أكفأ من غيرهم. فهذا مسلمة بن عبد الملك، كان بطلا شجاعا مهيبا، راجح العقل. ولكن لأنه كان ابن أمة، ولأن بني أمية كانوا يتطيرون من ترشيح أبناء الإماء إلى منصب الخلافة (دونما سبب جوهري) فقد خسر حظه في الوصول إلى هذا المنصب.

أما مروان بن محمد بن مروان، فإنه لم يكن بمقدوره أن يصل إلى ما وصل إليه من أمر الخلافة، وهو ابن أمة، لولا الظروف القاسية التي كانت تمر بها الدولة الأموية في أواخر أيامها. فكان دوره كالمنقذ فقط.

٣ - عدم التزام بعض الخلفاء بما اتفقوا عليه مسبقا: ويتمثل هذا في تنصّل مروان بن الحكم من شروط مؤتمر الجابية (٦٤هـ/ ٦٨٤م) بخصوص ولاية العهد. فقد عزل وليّي عهده واستعاض عنهما باثنين من أبنائه. وعقب ذلك، أخذ كل خليفة (عدا عمر بن عبد العزيز) يستغل أية فرصة للتحلل مما كان قد التزم به.

٤ - استمرارية التنافس فيما بين أبناء البيت الأموي للفوز بمنصب الخلافة: وهذا التنافس وما يسببه من أخطار في حال حدوثه كان قد حذّر منه معاوية ابن أبي سفيان في مناسبتين مهمتين، أولاهما كانت بعد أن أخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد من أهل المدينة حيث قال لقومه: «لأخبرنكم عني يا بني أمية، لن يبرح هذا الأمر فيكم ما عظمتم ملوككم، فإذا تمناها كل امرئ منكم لنفسه وثب بنو عبد المطلب في أقطارها وقال الناس: آل الرسول، فكانت الخلافة فيكم كحجر المنجنيق، يذهب أمامه ولا يرجع وراءه» (٧١). أما المناسبة الثانية فكانت «عندما اشتكى معاوية شكاته التي هلك فيها، أرسل إلى ناس من جملة بني أمية، فقال: يا معشر بني أمية، إني لما خفت أن

يسبقكم الموت إليَّ سبقته بالموعظة إليكم، لا لأرد قدراً ولكن لأبلغ عذرا، إن الذي أُخلف لكم من دنياي أمر، ستشاركون فيه وتغلبون عليه، والذي أُخلف لكم من رأي أمر مقصور لكم نفعه إن فعلتموه، مخوف عليكم ضرره إن ضيعتموه . . . إن دولتكم ستطول، وكل طويل مملول، وكل مملول مخذول، فإذا كان ذلك كذلك، كان سببه اختلافكم فيما بينكم واجتماع المختلفين عليكم، فيُدبر الأمر بضد ما أقبل به» (٧٢).

هذا، وقد صدرت تحذيرات مماثلة من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، إذ قال في وصيته لأبنائه : «وكونوا بني أم بررة، لا تدب بينكم العقارب» (٧٣).

وأما سليمان بن عبد الملك فقد جاء في كتابه الذي عهد فيه إلى عمر بن عبد العزيز بالخلافة من بعده، وموجها كلامه إلى أفراد البيت الأموي : « . . . ولا تختلفوا فيطمع فيكم» (٧٤). ولعل هذا ما كان يقصده الخليفة المقتول (الوليد بن يزيد) عندما قال محذراً الذين هجموا عليه ليقتلوه : «أما والله لا يُرتق فتقكم ولا يُلم شعثكم، ولا تجتمع كلمتكم» (٧٥).

وهذا العباس بن الوليد بن عبد الملك، سيد بني مروان، يقول محذراً من مغبة التنافس على هذا المنصب وموجهاً كلامه إلى سعيد بن الوليد بن عبد الملك عندما جاءه يطلب بيعته لأخيه يزيد بن الوليد : «يا بني مروان، إني أظن أن الله قد أذن في هلاككم» (٧٦).

جدول يثبت عدم وجود ضوابط محددة عند خلفاء بني أمية بشأن ولاية العهد

اسم الخليفة	ولاية العهد	ولي العهد المقترح بدلا عنه	ملاحظات
١) معاوية بن أبي سفيان	يزيد بن معاوية	—	—
٢) يزيد بن معاوية	معاوية بن يزيد	—	—
٣) معاوية بن يزيد	—	—	تنازل ولم يعيّن من يخلفه فانتهى بذلك الفرع السفياني من البيت الأموي.
٤) مروان بن الحكم	١) خالد بن يزيد بن معاوية ٢) عمرو بن سعيد بن العاص	١) عبدالملك بن مروان ٢) عبدالعزيز بن مروان	مروان أول من عزل وليّي عهده المتفق عليهما في مؤتمر الجابية واستبدل بهما ابنين من أبنائه.
٥) عبد الملك بن مروان	١) عبدالعزيز بن مروان ٢) عمرو بن سعيد بن العاص	١) الوليد بن عبد الملك ٢) سليمان بن عبد الملك ٣) يزيد بن عبد الملك ٤) مروان بن عبد الملك	عبد الملك قتل عمرو بن سعيد بن العاص (٧٢هـ) بعد أن كان وعده بالخلافة من بعده، ثم استفاد من وفاة أخيه عبد العزيز بن مروان (٨٥هـ) فبايع لأربعة من أبنائه بالتتابع.
٦) الوليد بن عبد الملك	سليمان بن عبد الملك	عبدالعزيز بن الوليد	—
٧) سليمان بن عبد الملك	يزيد بن عبد الملك	١) أيوب بن سليمان ٢) داود بن سليمان ٣) عمر بن عبدالعزيز	توفي أيام والده. كان متغيبا مع جيش القسطنطينية. جاءته ولاية العهد بتأثير من رجاء بن حيوة الكندي فيما كان سليمان على فراش الموت.

اسم الخليفة	ولاية العهد	ولي العهد المقترح بديلا عنه	ملاحظات
٨) عمر بن عبد العزيز	يزيد بن عبد الملك	—	—
٩) يزيد بن عبد الملك	الوليد بن يزيد	هشام بن عبد الملك	—
١٠) هشام بن عبد الملك	الوليد بن يزيد	مسلمة بن هشام	—
١١) الوليد بن يزيد بن عبد الملك	١) الحكم بن الوليد ٢) عثمان بن الوليد	— —	عقد البيعة لهما، ولم يحصلا على البيعة العامة لأنهما قتلا.
١٢) يزيد بن الوليد بن عبد الملك	١) إبراهيم بن الوليد ٢) عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك	— —	— قتل على يدي مروان بن محمد.
١٣) إبراهيم بن الوليد	—	—	لضعفه، كان يسلّم عليه مرة بالامرة ومرة بالخلافة ومرة لا بهذه ولا بتلك.
١٤) مروان بن محمد بن مروان	١) عبيد الله بن مروان ٢) عبدالله بن مروان	— —	لم يحصلا على شيء لأن العباسيين كانوا قد نجحوا في ثورتهم وقتلوا مروان في ٢٦ ذي الحجة لسنة ١٣٢هـ وبذلك انتهت الدولة الأموية.

الهوامش والتعليقات

* لقد تناول مناقشة أسباب سقوط الدولة الأموية عدد من الباحثين المحدثين. وتتركز آراؤهم على نقاط محددة ومعروفة، مثل: «العصبية القبلية (الصراع القيسي اليماني)، ولاية العهد، تعاقب خلفاء أقوياء وخلفاء ضعاف، النزاع بين أفراد البيت الأموي، حركات المعارضة، العوامل الاقتصادية والاجتماعية...» ولكن أيًا من الباحثين المحدثين لم يتطرق إلى فكرة عدم وجود ضوابط أساسية توضح أسلوب التعاقب على منصب الخلافة.

انظر على سبيل المثال، لا الحصر، المؤلفات التالية:

سعدي أبو جيب: مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دمشق ١٩٧٢ م.

رياض عيسى: النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الدولة الأموية، دمشق ١٩٨٥ م.

محمد عبد الحي شعبان: صدر الإسلام والدولة الأموية، بيروت ١٩٨٣ م.

عبد الجبار العبيدي: قراءة جديدة في أسباب سقوط الدولة الأموية، مجلة عالم الفكر، مجلد ١٥ العدد ٣، الكويت، ١٩٨٤ م ص ص ٢٦٩ ـ ٢٩٤.

فاروق عمر فوزي: الخليفة المقاتل مروان بن محمد، بغداد، ١٩٨٥ م.

يوليوس فلهاوزن: الدولة العربية وسقوطها، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، ١٩٦٨ م.

** لم يكن هذا النظام يمثل وراثة مطلقة، بحيث يرث الابن أباه بصفة مستمرة، كما كانت الحال في العصر العباسي.

١ ـ انظر، ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، ط ٤ بيروت، ١٩٨١ م، ص ص ١٣١ ، ٣١٨، ومصداق ذلك قول بشامة بن الغدير:

وجدت أبي فيهم وجدي كليهما ... يطاع ويؤتى أمره وهو محتبي

فلم أتعمل للسيادة فيهم ... ولكن أتتني طائعًا غير متعب

الجاحظ، عمرو بن بحر: الحيوان، جـ٢، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٣٨ م ص ٩٥؛ إحسان النص: العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دمشق ١٩٧٣ م، ص ص ٧٣ ـ ٧٤.

٢ ـ من هذه الصفات: سداد الرأي ورجاحة العقل، والحلم، والجود والسخاء بالمال، والشجاعة والتواضع والحزم وموهبة الخطابة، والغيرة على مصلحة القبيلة (انظر إحسان النص: العصبية، ص ص ٧٢ ـ ٨١). ومنها أيضًا: إغاثة الملهوف وإعانة الضعيف وحفظ الحقوق، واحترام المواثيق، وتحمل الجنايات وتأدية الديات، (انظر: حسين عطوان: الشورى في العصر الأموي، بيروت، ١٩٩٠ م، ص ٦٠).

وقد وضع علماء المسلمين شروطًا يجب توافرها فيمن يرشح لرئاسة الأمة الإسلامية وهي كالتالي: العدل، والعلم، وسلامة الحواس، وسلامة الأعضاء، الرأي، والشجاعة، والنسب القرشي، والإسلام، والذكورة والحرية، (انظر: قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، بغداد ١٩٨١ م، ص ص ٤٤٢ - ٤٦٤؛ الماوردي، علي بن محمد: الأحكام السلطانية، القاهرة ١٣٨٦ هـ، ص ٦٦؛ الجويني، عبد الملك بن عبد الله: غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق ودراسة فؤاد عبد المنعم وزميله، الاسكندرية، ١٩٧٩ م ص ص ٦٠ ـ ٧٤؛ محمد عبد القادر أبو فارس: القاضي أبو يعلي الفراء وكتابة الأحكام السلطانية بيروت ١٤٠٣ هـ، ص ص ٣٥٧ ـ ٣٧٣) وانظر: عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة ص ص ١٤٣ ـ ١٩٣.

وزيادة في الحيطة فقد حدد معاوية الصفات الحميدة التي يجب أن يتحلى بها من يتطلع منهم إلى ولاية أمر الأمة، فقال لهم «. . . . . لا ينبغي أن تكون فيه خمس خصالٍ: لا ينبغي أن يكون كذابًا، فإنه إن كان كذابًا فوعد بخير لم يُرج، وإن وعد بشرٍ لم يُخف، ولا ينبغي أن يكون بخيلاً، فإنه إن كان بخيلاً، لم يناصحه أحد، ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة، ولا ينبغي أن يكون حديدًا، فإنه إن كان حديدًا مع القدرة، هلكت الرعية. ولا ينبغي أن يكون حسودًا، فإنه إن كان حسودًا لم يُشرّف أحدًا، ولا يصلح الناس إلا على أشرافهم. ولا ينبغي أن يكون جبانًا، فإنه إن كان جبانًا اجترأ عليه عدوُّه» (انظر النويري، أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ ٦، القاهرة، ١٩٢٩ م، ص ١٠٤؛ حسين عطوان: الشورى، ص ص ١٠١ ـ ١٠٢) وقارن ذلك بما أورده ابن خلدون في المقدمة، ص ص ١٨٨ ـ ١٨٩ عن مثل هذه الصفات.

٣ ـ العسكري: أبو هلال حسن بن عبد الله: كتاب الأوائل، جـ ١ تحقيق وليد قصاب وزميله، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٠، ص ١٥٨؛ ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني: الكامل في التاريخ، جـ ٤، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٧٩ م، ص ١٣؛ النويري: نهاية الأرب، جـ ٢، ص ٣٧٢.

٤ ـ انظر، المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب، جـ ٣ تحقيق مفيد قميحة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٨، ابن ظفر الصقلي، محمد: كتاب أنباء نجباء الأبناء. بيروت، ١٩٨٠ م، ص ص ١٩٧ ـ ١٩٩.

٥ ـ الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، طبعة مكتبة خياط، بيروت (د. ت)، ص ص ١٧٣ ـ ١٧٧. وانظر، كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ج ١ تحقيق طه محمد الزيني، بيروت ١٣٧٨ هـ، ص ص ١٥٢ ـ ١٥٣؛ المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٥.

٦ ـ كتاب الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٦٣.

٧ـ ابن خياط، خليفة: كتاب التاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، بيروت ١٩٧٧ م، ص ٢١٦. وانظر، ابن العربي، أبو بكر محمد: العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، بيروت، (د. ت)، ص ١٦٤.

٨ـ ابن خياط: كتاب التاريخ، ص ٢٢٩؛ الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ١٩٨؛ اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، بيروت ١٩٨٠ م ص ٢٤١.

٩ـ الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ص ٢٢٧ـ٤٢٨، عمر سليمان العقيلي: يزيد بن معاوية «حياته وعصره» الرياض ١٤٠٨ هـ، ص ص ٣٥ـ٧٨.

١٠ـ البلاذري، أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، جـ ٤ (١)، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٩م، ص ص ٢٩١ ـ ٢٩٢؛ أبو تمام حبيب بن أوس الطائي: نقائض جرير والأخطل، تحقيق أنطون صالحاني، بيروت ١٩٢٢ م، ص ص ٢ ـ ٥؛ ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص ٥٢٢.

١١ـ اليعقوبي: تاريخ، جـ ٢، ص ٢٤١؛ الطبري تاريخ، جـ ٢، ص ٤٦٨؛ ابن عبد البر، يوسف: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ ٣، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة (د. ت)، ص ١٣٨٩.

١٢ـ البلاذري: أنساب الأشراف، جـ ٤ (١)، ص ٣٥٧؛ ويقول المسعودي: مروج الذهب، جـ ٣، ص ٨٢: «وكان كثير الفكر في أمر معاده».

١٣ـ البلاذري: أنساب الأشراف، جـ ٤ (١)، ص ٣٥٩.

١٤ـ المسعودي: مروج الذهب، جـ ٣ ص ٨٨.

١٥ـ انظر، ابن خياط: كتاب التاريخ، ص ٢٥٥؛ البلاذري: أنساب الأشراف ج ٤ (١)، ص ٣٥٨؛ الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ٤٣٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ ٣، ص ١٣٨٩.

١٦ـ ابن سعد، محمد: الطبقات الكبرى، تحقيق شيخو، طبعة دار صادر، بيروت (د. ت) جـ ٥، ص ١٦٠، ابن خياط: تاريخ، ص ص ٢٥٧ـ٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ ٣، ص ص ٩٠٦ـ٩٠٧.

١٧ـ راجع، خليفة بن خياط: تاريخ، ص ص ٢٥٧ـ٢٥٩؛ كتاب الإمامة والسياسة، جـ ٢، ص ١٢؛ الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ص ٤٢٩، ٤٦٣؛ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، جـ ٨ بيروت ١٤٠١ هـ، ص ٢٣٩.

١٨ـ الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ٤٦٧.

١٩ـ أبو تمام: نقائض، ص ١٢، ولتفصيل أكثر عن وجود مثل هذه المجالس في فترة سابقة، انظر: ابن هشام، عبد الملك: السيرة النبوية جـ ٢، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بيروت (د. ت) ص ص ٢٩٣ـ٣٠٠، حيث يسميه: «نادي قريش».

٢٠ـ قال عبيد الله بن زياد لمروان بن الحكم: «سبحان الله، أرضيت لنفسك بهذا، تبايع لأبي خبيب، وأنت سيد بني عبد مناف! والله لأنت أولى بها منه». انظر، الدينوري، أبو حنيفة أحمد: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، طبعة دار المسيرة، بيروت (د. ت)، ص ٢٨٥؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٢، ص ١٤٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢٤١.

٢١ـ الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ٤٦٧. وانظر، كتاب الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٣.

٢٢ـ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٨٥.

٢٣ـ الجابية: قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصُّفَّر في شمالي حوران. (ياقوت: معجم البلدان، جـ ٢، ص ٩١).

٢٤ـ المسعودي: مروج الذهب، جـ ٣، ص ١٠٤.

٢٥ـ الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ٤٨٧؛ المسعودي: مروج الذهب؛ جـ ٣، ص ١٠٤.

٢٦ـ المسعودي: التنبيه والإشراف، طبعة مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٥ م، ص ٣٠٩؛ وانظر، ابن سعد: الطبقات، جـ ٥، ص ص ٤٠ ـ ٤١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، جـ ٤ (١)، ص ٤٤٢: «كان عمرو الأشدق أجد الناس في أمر مروان، وأحسنهم معاونة ومكانفةً له واجتهادًا في صلاح أمره، وإفساد أمر ابن الزبير، فقاتل معه يوم المرج» الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ص ٤٦٨ ـ ٤٧٦، ٥٧٧.

٢٧ـ ابن سعد: الطبقات، جـ ٥، ص ٤٢؛ الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ص ٤٧٧ ـ ٤٨١؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٤، ص ص ١٤٩ ـ ١٥١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨، ص ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

٢٨ـ الكندي، محمد بن يوسف: ولاة مصر، تحقيق حسين نصار، (دار صادر) بيروت، (د. ت) ص ص ٦٥ ـ ٦٩.

٢٩ـ ابن سعد: الطبقات، جـ ٥، ص ٤٢؛ ابن خياط: تاريخ، ص ٢٦١؛ الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ٥٧٦.

٣٠ـ أبو هلال العسكري: الأوائل، ج ٢، ص ١٢٩.

٣١ـ ابن خياط: تاريخ، ص ٢٦٦؛ اليعقوبي: تاريخ، جـ ٢، ص ص ٢٧٠ - ٢٧١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ ٣، تحقيق خليل شحادة، بيروت، ١٤٠٣ هـ، ص ٤٢.

٣٢ـ أراد عبد الملك خلع عبد العزيز فنهاه قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وقال له: «لا تفعل هذا فإنك تبعث به عليك صوتًا معَّارًا، ولعل الموت يأتيه فتستريح منه، فكفّ عبد الملك عن ذلك ونفسه تنازعه أن يخلعه» انظر، ابن سعد: الطبقات، ج ٥، ص ٢٣٣؛ الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ص ١١٦٤ ـ ١١٦٩؛ الكندي: ولاة مصر، ص ص ٧٠ - ٧٣؛ النويري: نهاية الأرب، جـ ٢١، ص ٢٧٥، وفي كتاب الإمامة والسياسة، جـ ٢، ص ٤٤ «وكان عبد العزيز

نظير عبد الملك في الحزم والرأي والعقل والذكاء وكان عبد الملك لا يفضل عبد العزيز في شيء إلا باسم الخلافة: حتى لربما كان عبد الملك يأمر الشيء، فيريد عبد العزيز غيره، ويرى خلافه، فيرده إلى رأيه ولا يمضيه، وكان لا ينكر ذلك عبد الملك. . . . ».

٣٣ ـ كتاب الإمامة والسياسة، جـ ٢، ص ٤٥؛ الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ١١٧٠؛ النويري: نهاية الأرب، جـ ٢١، ص ٢٧٦؛ القلقشندي: مآثر الأنافة، جـ ١، تحقيق عبدالستار فراج، بيروت، عالم الكتب، (د. ت)، ص ١٣٩.

٣٤ ـ الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ١١٦٩.

٣٥ ـ الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ص ١٢٧٤؛ ١٢٨٣؛ ابن عبدربه: العقد الفريد، ج ٥/ ١٦٠.

٣٦ ـ عن أخبار هذه الحملة، انظر: كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف مجهول، جـ ٣، ليدن ١٨٧١ م، ص ص ٢٤ ـ ٣١؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ص ٢٦ ـ ٢٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٩، ص ص ١٦٩، ١٧٤ - ١٧٥؛ أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة، ١٩٦٠ م، ص ص ١٠٣ ـ ١٠٥؛ وسام فرج: العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن ٨ م، الاسكندرية، ١٩٨١ م ص ص ١١٩ ـ ١٧٥.

٣٧ ـ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٩، ص ١٧٥.

٣٨ ـ ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٣٩.

٣٩ ـ المسعودي: التنبيه والأشراف، ص ٣٢٥، ونشير إلى رواية عند الطبري (تاريخ ٨/ ٢٦٣) أن الأمويين كانوا ينفرون من تولية أبناء الإماء حتى ولو كان ليس منهم، فهذا هشام بن عبدالملك يقول لزيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): بلغني يا زيد أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وأنت ابن أَمَة».

٤٠ ـ الدينوري: الاخبار الطوال، ص ٣٢٩: قال سليمان بن عبدالملك لرجاء بن حيوة الكندي: «إن أخوي يزيد وهشاما لم يبلغا أن يؤثمنا على الأمة فجعلتها للرجل الصالح، عمر بن عبدالعزيز، فإذا توفي رجع الأمر إليهما»؛ ابن خلدون: تاريخ، جـ ٣، ص ٩٣، : «قال سليمان لرجاء: إني والله لأعلم أنها تكون فتنة ولا يتركونه أبدًا يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده. . . . فكتب لعمر: إني قد وليتك الخلافة من بعدي ومن بعدك يزيد بن عبدالملك». وانظر كتاب الامامة جـ ٢، ص ٩٣.

٤١ ـ ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٦٥، «قال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة، أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز، وما كان سواهم فهم متنزون».

٤٢ ـ لتفصيل أكثر عن سيرتهما، انظر، ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ ٣، ص ٤٣٦ (سالم)؛ جـ ٨، ص ٣٣٣ (القاسم) «وقال ابن وهب، حدثني مالك: أن عمر بن عبد العزيز كان

يقول: لو كان لي من هذا الأمر شيء ما عصبته إلا بالقاسم» وانظر، كتاب الإمامة والسياسة ٢ جـ، ص ٩٣؛ ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٠٦.

٤٣ ـ البلاذري: أنساب الأشراف (مخطوط) جـ ٢، ص ١٨٠؛ نقلاً عن حسين عطوان: الأمويون والخلافة، ص ٥٤.

٤٤ ـ ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٦٠ م ص ٣٦٤؛ القلقشندي: مآثر الانافة جـ ١، ص ص ١٤٣، ١٤٧.

٤٥ ـ أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ٧، ص ٢.

٤٦ ـ انظر احداث هذه الحركة عند الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ص ١٣٧٩ ـ ١٤١٧؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٧٩.

٤٧ ـ الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ١٧٤١؛ ابن عبدربه أحمد بن محمد، : العقد الفريد، جـ ٥، تحقيق محمد سعيد العريان، بيروت (د. ت) ص ١٧٧. ويورد ابن خلدون: (تاريخ، جـ ٣، ص ١٠١) «الله بيني وبين من قدَّم هشامًا عليك».

٤٨ ـ أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، جـ ٧، ص ٣.

٤٩ ـ ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٢٦٥.

٥٠ ـ ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٢٦٥.

٥١ ـ خلَّف الوليد بن يزيد كاتبه عياض بن مسلم عند هشام ليكاتبه بما عندهم، مما يعني أنه كان عينًا له في مجلس هشام، ولكن هشامًا عرف بأمره فضربه ضربًا مبرحًا وألبسه المسوح. فقال الوليد: «هذا الأحول المشئوم قدَّمه أبي على أهل بيته فصيره ولي عهده ثم يصنع بي ما ترون. لا يعلم أن لي في أحد هوىً إلا عبث به... اللهم أجرني منه».
الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ١٧٤٥؛ ابن الأثير، جـ ٥، ص ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦؛ ابن خلدون: تاريخ، ج ٣، ص ١٢٩.

٥٢ ـ انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥؛ ابن خلدون: تاريخ، ج ٣، ص ١٣٣؛ إبراهيم الابياري: الوليد بن يزيد والدولة الأموية، القاهرة، ١٩٥٦ م؛ حسين عطوان: الوليد بن يزيد (عرض ونقد)، بيروت ١٩٨١ م؛ محمد ضيف الله بطاينة: حول مصرع الوليد بن يزيد، مقالة في مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود، العدد الخامس، الرياض ١٩٧٧ م، ص ص ٢٢٩ ـ ٢٦٧؛ جبرائيل جبور: الملوك الشعراء، بيروت، ١٩٨١ م، ص ص ٦٦، ٩٢.

٥٣ ـ الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ص ١٧٧٥ ـ ١٨١٣؛ ابن خلدون: تاريخ جـ ٣، ص ١٣٣.

٥٤ ـ من أمثال: محمد وإبراهيم ابني هشام بن إسماعيل المخزومي، والوليد وعبد الملك ابني القعقاع العبسي، (الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ص ١٧٨٣ ـ ١٧٨٤).

٥٥ ـ ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٧٧ م، ص ٩١.

٥٦ ـ المصدر السابق والصفحة؛ وانظر كتاب البيعة بولاية العهد لولديه عند الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ص ١٧٥٦، ١٧٦٤.

٥٧ ـ أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ٧، ص ٧٠، حسين عطوان: الوليد بن يزيد (عرض ونقد)، ص ص ٤٠١، ٤٢٨.

٥٨ ـ خليفة بن خياط: كتاب التاريخ، ص ٣٦٤، ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٥٨؛ وانظر، ابن خلدون: تاريخ، جـ ٣، ص ١٣٥، : «. . . واجتزوا رأسه فساروا به الى يزيد فأمر بنصبه، فتلطف له يزيد بن فروة مولى بني مرّة في المنع من ذلك، وقال: هذا ابن عمك وخليفة وإنما تنصب رؤوس الخوارج ولا آمنُ أن يتعصب له أهل بيته، فلم يجبه وأطافه بدمشق على رمح. . .».

٥٩ ـ رياض عيسى: النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية، دمشق، ١٩٨٥ م ص ١٧٤، وتقول الباحثة بوجينا غيانة سنشيجفسكا (تاريخ التشريع الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣ م، ص ١٢٧): «وبقتله افتتح باب الشؤم على بني أمية».

٦٠ ـ الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ١٨٦٩؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٣٠٨.

٦١ ـ الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ١٨٧٥؛ ابن خلدون: تاريخ، جـ ٣، ص ١٤٠؛ القلقشندي: مآثر الانافة، جـ ١، ص ١٦١.

٦٢ ـ خليفة بن خياط: كتاب التاريخ، ص ٣٧٣ «فقتل الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد وهما الحملان»، ويروي الطبري (تاريخ، ج ٢، ص ١٨٧٨) أن إبراهيم بن الوليد قد برر صنيعه ذلك بقوله: «إن بقي الغلامان ابنا الوليد حتى يقدم مروان ويخرجهما من الحبس ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحدًا من قتلة أبيهما، والرأي أن نقتلهما. «فأرسل رجلاً من عنده، فدخل السجن فشدخ الغلامين بالعُمد».

(الطبري: تاريخ، جـ ٢، ص ١٨٧٩ م. وانظر، ابن خلدون: تاريخ، جـ ٣، ص ١٤١) ويورد القلقشندي: مآثر الانافة، ج ١، ص ١٦٤: أن الحكم بن الوليد بن يزيد كان قد أنشد شعرًا قبل وفاته، جاء فيه:

فإن أُقتل أنا وليُّ عهدي فمروانٌ أميرُ المؤمنينا

ويقول ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٦٨: «وكان أخوه ولي عهده فمن أجل هذا طلب مروان الخلافة لنفسه».

٦٣ ـ ابن الأثير: الكامل، جـ ٥ ص ص ٣٢١ ـ ٣٢٤؛ القلقشندي: مآثر الانافة، جـ ١، ص ١٦١.

٦٤ ـ الطبري : تاريخ، جـ ٢، ص ص ١٨٩٢، ١٩٤٦ .
٦٥ ـ ابن الأثير : الكامل، ج ٥، ص ٣٣٠.
٦٦ ـ ابن قتيبة : المعارف، ص ٣٧٢.
٦٧ ـ كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ج ١، ص ١٥٠ .
٦٨ ـ الطبري : تاريخ، ج ٢، ص ص ١٧٣ ــ ١٧٧ . الإمامة والسياسة، ج ١، ص ص ١٥٢ ـ ١٥٣، المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ص ٣٥.
٦٩ ـ الدينوري : الأخبار الطوال، ص ٣٢٥.
٧٠ ـ ابن الأثير : الكمال، ج ٥، ص ٩١.
٧١ ـ العسكري : الأوائل، ج ١، ص ١٠٠، حسين عطوان : الشورى، ص ٥٣ .
٧٢ ـ ابن عبدربه : العقد الفريد، ج ٥ ص ٣٣٠.
٧٣ ـ ابن خلدون : تاريخ، ج ٣، ص ٧٣.
٧٤ ـ ابن كثير : البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٨٢، ابن خلدون: تاريخ، ج ٣، ص ٩٤.
٧٥ ـ الطبري : تاريخ، ج ٢، ص ١٨٠١ .
٧٦ ـ الطبري : تاريخ، ج ٢، ص ص ١٧٨٤ ـ ١٧٨٨ .